

التقرير اليومي

2007/5/31

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

الطموح الروسي وتحفز روسيا نحو الوحدة

The Trumpet؛ 2007/5/23

- تشكل قوة موسكو ونفوذها المتنامي إنذاراً لأوروبا، فكيف سيكون رد فعل القارة؟ قبل 15 عاماً فقط، كانت روسيا عبارة عن دب مريض في حالة سيئة في كهف مظلم. أما اليوم، فقد ظهرت الدولة بشكل لائق وقوي، وهي تتجول بجرأة وبهيمنة في مجالات السياسات الدولية بحثاً عن طريدة. فمنذ انتخاب الرئيس فلاديمير بوتين في العام 2000، ازدادت قوة وعدوانية موسكو بشكل خطير وهناك قادة ودول عديدة في حالة قلق.

ولا أحد أكثر قلقاً من أولئك الذين في أوروبا.

وقد ناقش مركز ستراتفور للدراسات السبب الذي كان يدعو أوروبا للقلق والعصية قبل سنوات عدة مضت: "هذا هو السبب الذي جعل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) تصبح قلقة" - وليس لذلك علاقة كبرى بالممارسات الانتخابية لبوتين كإنتصاره العظيم والطريقة التي من المرجح أن يستخدم بها إنتصاره. فبوتين، أولاً وآخراً، روسي الجنسية، براغماتي تماماً (أو قاسي القلب) في الوسائل التي سيستخدمها لتعزيز الدولة الروسية.

فلديه سلطة الآن أكبر من سلطة أي شخص في روسيا منذ إثميار الشيوعية، وبإمكانه إعادة تشكيل النظام. ونتيجة لذلك، فإن OSCE وأوروبا "قلقون" بخصوص الحل الذي يأخذ بوتين روسيا إليه، ولديهم كل الأسباب الموجبة لذلك: فبوتين يقوم بتغيير توجه روسيا ببطء وبشكل منظم. وعندما تغير روسيا إتجاهها، فإن على باقي أوروبا أن تكون "قلقة" (9 كانون الأول 2003).

وربما يكون عدم الدقة الوحيد في تقييم ستراتفور لعام 2003 هو أن بوتين كان يغيّر إتجاه روسيا "ببطء". فمنذ أن كُتب الموضوع، قام بوتين بجذب روسيا بعيداً عن السير في الطريق المظلم الوعر ووضع الدولة على الخط والطريق الجيوسياسي المركزي الرئيسي. وفي غضون سنوات قليلة فقط، أمن بوتين "سيطرة الحكومة التامة" على صناعات روسيا الأساسية، بما فيها النفط، الغاز والصحافة؛ معارضاً المصالح الغربية عند كل منعطف تقريباً؛ معززاً العلاقات في "الشرق"؛ عاملاً على إخضاع دول الإتحاد السوفياتي السابق. ومن خلال كل ذلك، قام

بوتين أيضاً، ليس فقط بإرساء موسكو في قلب سياسات الطاقة العالمية، وإنما وضع نفسه وبلده في طليعة جيوش الدول النامية والجماعات التي تحتقر الغرب.

وهناك عنصر هام بهذه الرواية يُفوّتها كثيرون على أنفسهم اليوم. فكلما إزدادت روسيا خطراً وميلاً للحرب بشكل أكبر، كلما كان علينا مراقبة أوروبا. "فرد فعل أوروبا إزاء الطموح الروسي هو العنصر الأهم" - وكونوا واثقين: أوروبا "تقوم" بالرد.

فالتوتر بين أوروبا وروسيا كان يتعاضم في الأشهر والأسابيع الأخيرة حول قضايا متعددة. وفي وقت سابق من هذا الشهر، وجهت رئاسة الإتحاد الأوروبي والبعثة الأوروبية توبيخاً قوياً لروسيا بسبب تشيبتها لحظرها عام 2005 بخصوص إستيراد اللحوم من بولندا، متهمه موسكو باستغلال التجارة كسلاح سياسي. وهناك حادثة كبرى أخرى شملت شجاراً حول نصب يعود للحقبة السوفياتية في دولة أستونيا.

ففي العاصمة تالين، قام قادة أستونيون بتفكيك وإزالة نصب سوفياتي. وبغضون أيام، هاجم الرئيس بوتين الأستونيين بسبب "إهانتهم تذكارات أبطال الحرب". وتسبب بإغلاق كل الطريق الروسية، وكذلك سكة الحديد المؤديتان الى أستونيا. وبسبب إمتعاضها من تدخل بوتين بالشؤون الأوروبية، توجهت ألمانيا وأوروبا الى وزارة دفاع الإتحاد الأوروبي. وبالحدث أمام البرلمان الأوروبي في بروكسل، حذر الوزير الأوروبي لألمانيا، غانتر غلوسر، روسيا من أن هجوماً على أستونيا كان "هجوماً على سيادة دولة عضو بالإتحاد الأوروبي"، وتعهد "بدعم برلين الكامل" لتالين. وقد كشف هذا الفصل كله عن سرعة التوتر والإحتكاك بين روسيا وأوروبا.

فروسيا تثبت بأنها خاصة مؤلمة لأوروبا في منطقة البلقان في كوسوفو. وبحديثه من أذربيجان يوم الإثنين، أوضح وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، عن مدى معارضة بلاده الشديدة للخطة المدعومة غربياً لدعم إستقلال كوسوفو عن صربيا تحت إشراف دولي. وكما قد يبدو موقف روسيا العدواني الأخير تجاه بولندا، أستونيا أو كوسوفو ضئيلاً للبعض، فإن كل وضع من هذه الأوضاع هو نقطة توتر متفجرة تتعاضم بين روسيا وقارة أوروبا بكاملها. وفي ممارسته التفرغ ضد الأستونيين، قام الرئيس بوتين، كلامياً أيضاً، بمهاجمة الدول الأعضاء الـ 26 في الإتحاد الأوروبي، بما فيها ذات الثقل، كفرنسا وألمانيا. فلماذا تتهم ألمانيا بوتين بمهاجمة سيادة دولة عضو بالإتحاد الأوروبي وتعهد بدعمها الكامل لأستونيا؟

إنّ هذه المناوشات الصغيرة ظاهرياً يجب أخذها بعين الإعتبار إزاء خلفية العلاقات الروسية- الإتحاد الأوروبي الساخنة والمتوترة. فقضية إمدادات الطاقة لا تزال "القضية الأكثر إثارة للجدل" بين روسيا وأوروبا. فخلال الشتاءين الماضيين، إستبدت روسيا هيمنتها بخصوص إمدادات الطاقة الأوروبية عن طريق وقفها، بشكل متكرر، تدفق النفط والغاز الطبيعي الى أجزاء مختلفة من أوروبا. إنّ تخوف قادة أوروبا من أمور أخرى قليلة عدا قيام الكرملين المتطرس بمحصر وضغط تدفق إمدادات الطاقة للقارة؛ وبذلك يكون تأمين إستقلال الطاقة عن روسيا قد أصبح الآن إحدى أكثر أهداف القارة إلحاحاً. ومع ذلك، فقد "إعترضت" روسيا على هذا المشروع - المغامرة.

ولأنّ كيلهم قد طفح من عدوانية موسكو وإيماءاتها الواضحة المعادية للغرب، سمح عدد من قادة أوروبا بإظهار خيبة أملهم في الأسبوع الماضي في قمة جمعت الإتحاد الأوروبي وروسيا خارج سمارة، المدينة الروسية. وقد إنقطت الصحف الأوروبية كيف برهن إستياء القادة الأوروبيين عن حالة الوهن في العلاقات الروسية- الأوروبية.

وفي فترة سبقت الإجتماع، حذرت **European Voice** قانلة بأن العلاقات الإتحاد الأوروبي- الروسية قد وصلت الى حافة الجمود العميق، وصرحت بأنّ الدبلوماسيين الأوروبيين والروس أنفسهم قد "أقروا بأنّ هناك فرصة ضئيلة لبدء محادثات حول تعزيز ودعم العلاقات السياسية والاقتصادية في القمة..". وشرحت صحيفة "هيرالد تريبيون إنترناشيونال" كيف توسطت التوترات الأخيرة (مع بولندا، أستونيا وكوسوفو) محادثات القمة، "مما زاد من شعور أوروبا بالخطر بأنّ موسكو تستخدم مواردها الهائلة من الطاقة لغايات سياسية، ساخرة من حقوق الإنسان ونازعة صفة الديمقراطية عن الإنتخابات البرلمانية المنتظرة في كانون الأول والتصويت الرئاسي شهر آذار المقبل".

إنّ العلاقات بين الإثنيين سيئة للغاية، بحسب مما صرحت صحيفة "هيرالد تريبيون إنترناشيونال"، حيث كان بيتر ماندلسون، المبعوث التجاري للإتحاد الأوروبي، قد "حذر مؤخراً من أن مستوى التفاهم بين الإثنيين كان الأسوأ منذ نهاية الحرب الباردة، وهو معرض لأن يسوء أكثر" (وهذا يؤكد ما كنا قد ذكرناه). أما صحيفة موسكو تايمز، فقد ذكرت في مقالة ذكية لها بعنوان "أوروبا تعنف بوتين المنتصب بجشونة"، عدم صدور نتائج مثمرة عن مؤتمر اليوم الواحد في سمارة.

"لم يتم التوصل الى إتفاقيات كبرى"، صرحت المقالة. "ففي حين تحدث الجانبان عن إستعدادهما للتعاون، فإنهم إختلفوا حول كل شيء تقريباً..." وخلال المؤتمر الصحفي الجارح والطويل المعقود بعد الإجتماع، بدأ فلاديمير بوتين، بشكل واضح وجلي، مترعجاً وعدائياً عندما واجه تساؤلات من المستشار الألمانية أنجيلا ميركل. حتى أن رئيس البعثة الأوروبية، خوسيه مانويل باروسو، خرج من المؤتمر محذراً بوتين بأن "الإتحاد الأوروبي مبني على أساس التكاتف ووحدة الصف"، وبأن هجوم الرئيس الروسي على بولندا كان هجوماً على الإتحاد الأوروبي بكامله. وكانت لهجة القمة لا تحتمل الخطأ. فقيادة أوروبا قد طفح كيلهم من سلوك وتصرفات روسيا الجريئة، وهم يظهرن أنفسهم على أنهم مستعدون لمواجهة بوتين ورفاقه.

ومن بين كل قادة أوروبا، حددت "التايمز" اللندنية أنجيلا ميركل الألمانية واحدة من أشهر المنتقدين لروسيا. فبحسب "التايمز"، قامت ميركل بإتخاذ خطها الأكثر تشدداً قبل مؤتمر الأسبوع الماضي في سمارة خلال عشاء مع بوتين، محذرة إياه من "أن روسيا ليس بإمكانها إنتقاء دول أوروبية منفردة متوقعة القيام بمقاربة عمل كما جرت العادة بعيداً عن الإتحاد الأوروبي".

إنّ الرسالة الهادئة، لكن المميزة، المنبعثة من ألمانيا، واضحة: فالغطرسية والجرأة الروسية لن تقابل بعد الآن بالديبلوماسية فحسب. إنّ نفوذ روسيا وقوتها العالمية الجديدة تحفران قادة أوروبا على المطالبة بقائد قوي قادر على رد الضربات. فهناك بعض الأمور التي توحد دولة أو مجموعة دول أكثر من "تهديد خارجي متبادل". فالمنطق يحدثنا بأن إنتفاخ روسيا نحو الديكتاتورية سيتسبب بخوف لدى الأوروبيين، مما سيسرع عملية توحيد القارة الأوروبية.

وتكشف نبوءة الإنجيل بأنّ هذا بالدقة ما بإمكاننا توقع حدوثه. فروسيا ستكون حافزاً لتشكيل وتعزيز قوة أوروبية موحدة. ويدرك المؤرخون بأنّ العلاقات الروسية- الأوروبية ما هي إلا لغز. فستالين وهتلر كانا يتسلمان ويتصافحان في العام 1939؛ وبحلول 1941، كان جنودهما يقتلان بعضهما البعض. أما الدرس، فهو التالي: إنّ العلاقات الباعثة على السرور وإتفاقيات السلام بين روسيا وأوروبا لا تعني شيئاً. بالواقع، كلما بدا الروس أكثر ألفة وصدافة، كلما كانت الحرب وشيكة، على الأرجح.

من المهم أن نتذكر هذا الدرس. ففي الأسابيع والأشهر المقبلة، قد تبدو العلاقات بين روسيا وأوروبا أطف وأهدأ، فلا تنغروا بذلك: فروسيا هي عدو أوروبا الأكبر والمجرب معظم الوقت- كما أنّ أوروبا تعتبر التهديد المستمر بالنسبة لروسيا. فكلما حصلت روسيا على نفوذ وسلطة جيوسياسية أكبر، كلما شعر قادة أوروبا ومواطنوها، على السواء، بالحاجة للتوحد لمكافحة التهديد المتعظم على خاصرتهم الشرقية. فالطموح الروسي، بالتحديد، سيساعد الأوروبيين على إدراك الحاجة الملحة لقائد نشيط وقوي يقودهم ضد قوى خارجية كفلاديمير بوتين.

وبفضل موقعها في قلب سياسة الطاقة، وكذلك الدعم الذي تتلقاه من دول تحتضنها بصفحتها ثقل موازن للهيمنة الغربية، فإنه من المقدر لروسيا أن تتزايد قوتها ونفوذها في الأشهر والسنوات المقبلة. وفي حين ينتشر هذا التوجه، فإنه من الضروري أن نراقب "ردة الفعل الأوروبية".

ذكرت الصحافة دراسة لـ **Army Surgeon General** عن سوء معاملة الجنود والمارينز للمدنيين العراقيين ومشاكل أخلاقية خطيرة آخر وذلك قبل أسابيع قليلة. إلا أن التغطية الإعلامية، لم تنكب سوى على جزء صغير من خلاصات وإستنتاجات دراسة **Surgeon General** - فأهم ما تحدثت عنه الدراسة كان حول ما الذي قاد جنودنا للتصرف بطرق كهذه. ويشرح هذا التقرير أموراً هامة عديدة حول الحرب في العراق، تشمل كيفية خسارتنا الحرب، ولماذا ستفشل إستراتيجية الزيادة، والأسوأ من ذلك كله ربما، ما الذي تفعله الدولة للجنود والمارينز بحيث أن كثيرين يجهرون بدعمها. يشرح وينسلو هويلر هذا الأمر في مقالة له متوفرة على **Alternet.org**. "ثلث جنودنا في العراق يدعمون التعذيب، وتتجاوز الأكثرية عن سوء معاملة المدنيين الأبرياء"، يقول وينسلو هويلر في مقالة له في 24 ايار 2007:

قبل أسبوعين، ذكرت الصحافة خلاصات لدراسة إستمرت 5 أشهر تعالج موضوع الصحة العقلية والأخلاقية للجنود قام بها مكتب **Surgeon General** التابع للقيادة الطبية للجيش الأميركي. وقد ركزت بعض الحسابات على إحصاء مرعب في الملخص التنفيذي للتقرير. فقد ذكر أن 10 بالمئة من الجنود والمارينز ممن أجريت معهم مقابلات "يسيئون معاملة غير العسكريين" (الإضرار/ تدمير ممتلكات عراقية عندما لا يكون الأمر ضرورياً أو ضرب/ رفس شخص غير عسكري عندما لا يكون ذلك ضرورياً). ورفعت المقالات شبح سوء المعاملة المنتشر ضد المدنيين العراقيين من قبل الجنود الأميركيين - كما ذكرت قضية تمت الإشارة إليها، بتعميم، بتقارير سابقة - لكن معزولة ظاهرياً - عن حالات إغتصاب وقتل كما حصل في بلدة حديثة في العراق.

و ذكرت، أيضاً، بعض تفسيرات الصحافة لدراسة **Surgeon General**، الفريق الإستشاري للصحة العقلية 17 (MHAT)؛ عملية الحرية العراقية 2005-2007"، الخلاصات الأكثر تفصيلاً من فصلها حول "أخلاقيات ساحة المعركة". وأصبحت المعلومات أكثر إرباكاً وإحباطاً؛ فالمشاكل كانت، وبوضوح، أكثر خطورة مما أشار إليه الملخص التنفيذي:

- وافق 47 بالمئة من الجنود و38 بالمئة فقط من المارينز على أنه يجب معاملة غير العسكريين باحترام وتقدير.
- ذُكرَ بأن أكثر من ثلث الجنود المارينز قالوا بأنه يجب السماح بالتعذيب سواء لإنقاذ حياة جندي أو مارينز زميل... أو للحصول على معلومات هامة حول المتمردين...
- ذُكرَ بأن 28 بالمئة من الجنود و30 بالمئة من المارينز قاموا بشتم و/أو إهانة عراقيين من غير العسكريين بحضورهم.
- ذُكرَ بأن 9 بالمئة من الجنود و12 بالمئة من المارينز يقومون بالإضرار أو بتدمير ممتلكات عراقية "عندما لا يكون الأمر ضرورياً".
- ذُكرَ بأن 4 بالمئة من الجنود و7 بالمئة من المارينز يضربون أو يرفسون شخصاً غير عسكري "عندما لا يكون الأمر ضرورياً".
- كما يذكر التقرير بأن 55 بالمئة من الجنود و40 بالمئة من المارينز، فقط، قد يرسلون تقريراً حول أحد أفراد وحدة قتالية ما يقوم بجرح أو قتل "شخص بريء غير عسكري". كما أن 43 بالمئة و 30 بالمئة، على التوالي، قد يرسلون تقريراً عن أحد أفراد إحدى الوحدات يقوم بتدمير أو الإضرار بممتلكات خاصة.

ومن اللافت أنّ هذه هي الردود التي تلقاها فريق المسح؛ هناك على الأرجح عدداً أكبر من أفراد الجنود والماريتز الذين ربما كانوا مترددين لجهة التجاوب الكامل والدقيق لاستجواب الجيش حول مواضيع حساسة كهذه. ولذلك، فإنّ المعلومات المسجلة يجب اعتبارها أرضاً وليس سقفاً.

وبصرف النظر عن كيفية تكرار سوء السلوك، والذي قد يتخطى نتائج المسح، فإنّ هذه الأمور هي بعض توصيفات السلوكيات التي لا تؤدي سوى الى نفور الشعب العراقي من الوجود العسكري الأميركي هناك، والى نفوره من أي شخص يتأسس هذا الشعب، بمن فيهم السياسيين العراقيين، الذين يرحبون أو حتى يتساهلون بشأن وجودنا. فالأمر لا يتعلق فقط بعدم فوزنا؛ فنحن نساعد أعداءنا. وعندما يشرح مؤرخونا لماذا خسرت أميركا الحرب في العراق، فإنّ هذه الدراسة يجب أن تكون دليلاً بارزاً على ذلك.

ويرد فعل تجاه دراسة **Surgeon General** المدمرة، قال قائدنا العام في العراق، الجنرال دايفيد بترايوس، بأنه "مهتم جداً" وبأنه كان يكتب "مذكرة الى قادتنا وجنودنا لمناقشة هذه الأنواع من المسائل والإشارة الى أنه لا يمكننا مطلقاً التزول الى مستوى العدو" (تعميم لإعادة تثقيف الجنود حول القيم، VPI، 9 أيار 2007). إنه نوع من رد الفعل الذي قد يتوقعه المرء من سياسي كان حذراً كي لا يسيء لأحد (ما عدا العراقيين)، أو ربما من بيروقراطي يعتقد بأنّ المذكرة تجل العالم يدور.

ولو أنه قرأ الدراسة الكاملة الصادرة عن **Surgeon General**، لأمل بترايوس، على الأرجح، أن لا يقرأها أحد آخر سواه. فالدراسة تسعى لشرح أسباب سلوك جنودنا وسوء معاملتهم، وهذا التفسير يقدم إضاءة مربكة حول منطق هذه الحرب. كما أنّ الدراسة توفر تفسيراً للسبب الذي لأجله لن تجعل "زيادة" عديد الجيش الأميركي في العراق، التي قبلها بترايوس مهمة له، الأمور إلا أسوأ حالاً.

وتوضح الصفحة 38 من الدراسة بأنّ "الجنود الذين ظهروا إيجابيين بما يتعلق بمشكلة الصحة العقلية (القلق، الإحباط أو الضغط الحاد)، كانوا عرضة مرتين أكثر للإشتراك بسلوك غير أخلاقي (ما يعني سوء معاملة مدنيين عراقيين) بالمقارنة مع أولئك الجنود الذين لم يبدووا إيجابيين. إن الصفحات التالية من الدراسة لديها نفس النقطة بشأن الماريتز.

ما الذي يسبب "القلق، الإحباط والضغط الحاد" الذي ينتهي بسوء المعاملة؟ بالنسبة للعاملين بالجيش؟ إنّ إيقاع الإنتشار هو عامل رئيس: "يبدو الجنود الذين تم نشرهم أكثر من مرة في العراق أكثر احتمالاً للتعرض للضغط الحاد"، يشير التقرير. وربما يكون العامل الأهم هو الجدول الزمني للتعاقب على الخدمة في العراق هو السبب: لا تزال مدة الإنتشار الطويلة (التي وُصفت بأنها سنة واحدة) المهاجس الأول بالنسبة... للجنود".

وقد أوصت الدراسة بتمديد الفترة الزمنية التي يقضيها الجنود في الوطن مع عائلاتهم من 18 الى 36 شهراً، في الوقت الذي يتم فيه أيضاً تخفيض فترات الإنتشار في العراق الى أقل من عام. وكما أشارت الدراسة، فإنّ الماريتز ينتشرون، نموذجياً، بالعراق لستة أو سبعة أشهر، وقد وجدت الدراسة بأنه "بسبب فترات الإنتشار الأقصر زمناً، فإنه ليس للماريتز هواجس إنتشار كثيرة"، وبأنّ الضغط ناتج من ذلك السبب. إلا أنّ الماريتز متورطون بنفس السلوك "اللا أخلاقي" تجاه المدنيين العراقيين. وقد أوضحت الدراسة بأنّ الماريتز يتقاسمون ظروفناً أخرى مع الجنود، خاصة الإشتراك في القتال.

وقد صنفت الدراسة ثلاث مستويات من التورط الحربي: المرتفع، المتوسط، والمنخفض. كما حُدِّدَت بمقدار الوقت الذي أمضاه الجنود وأفراد الماريتز "خارج الأسلاك الشائكة" بمعسكرات القاعدة، الحاميات العسكرية أو "المنطقة الخضراء" الشهيرة في بغداد. وقد عثرت الدراسة على "علاقة خاصة ذات بعد واحد" بين مستوى القتال والاختيار الإيجابي لوجود القلق، الإحباط والضغط الحاد وأية مشكلة صحية عقلية".

ومن ثم أشارت الدراسة الى أنّ:

30 بالمئة من الجنود في ظروف القتال العالية ظهوروا إيجابيين لمشكلة الصحة العقلية بالمقارنة مع ... 11 بالمئة لظروف الحرب المنخفضة الشدة، مع جنود في ظروف قتال عالية الشدة يمضون 56 ساعة أسبوعياً خارج معسكر القاعدة بالمقارنة مع 12 ساعة لجنود بظروف قتال منخفضة.

وكما ذُكرَ آنفاً، فإنَّ عدد الجنود المذكورون في التقرير الذين إختبروا "القلق، الإحباط أو الضغط الشديد" يجب إعتبارهم، أيضاً، عدداً متدنياً بالنسبة للمعلومات. وتماماً كما كانت القضية في فيتنام، ربما تمر أعوام قبل أن نعرف، وكذلك بقية المجتمع الأميركي، كم من جنودنا وأفراد المارينز كانوا مرعوبين دوماً وبعمق بسبب تجاربهم القتالية في العراق. وتابعت الدراسة:

لم يسبق أن حدث في تاريخنا العسكري أن كان مطلوباً من الجنود والمارينز أن يخدموا على خط الجبهة بأية حرب فترة 6-7 شهور، هذا دون أن نذكر سنة، من دون أخذ فرصة لكي يتعافوا من المتطلبات المادية، النفسية والعاطفية الناشئة عن القتال. فخلال الحرب العالمية الثانية، تم سحب وحدات كاملة عن خط الجبهة لأشهر في وقت ما لكي يرتاحوا ويجددوا نشاطهم. وحتى خلال حرب فيتنام، كانت الدوريات الحربية الممتدة أسبوعاً في الميدان تتبعها أياماً عدة من الراحة والتعافي في معسكر القاعدة.

وحتى الآن، لا ينال أي من الجنود أو المارينز، الذين يخوضون تجارب قتالية عالية في العراق، فترات زمنية مهمة للتعافي في العراق. ومع الجدل بأن كثافة العمليات القتالية في العراق غير خاضعة للمقارنة مع تلك التي للحروب السابقة، كالحرب العالمية الثانية وفيتنام، ولذلك فإنَّ فترة التعافي تعتبر غير ضرورية، يثبت الإفتقار للتقدير ما الذي تشكله الحرب عموماً، وتجاهل ما يتعلق بمستوى القتال الذي يختبره الجنود والمارينز في العراق. فإن تكون، في النهاية، بمختر ممت لساعات، كل يوم من أيام الأسبوع ولأشهر، هو في أفضل الأحوال أمر مرهق جسدياً ويشكل إستنزافاً عقلياً.

ويجب الإشارة الى أن الدراسة قد كُتبت في تشرين الثاني في 2006، وذلك قبل وقت قصير من إعلان الرئيس جورج دبليو بوش "الزيادة" التي ستكون بقيادة بترايوس. فالزيادة، كما نفدها بترايوس، تقوم بكل شيء بشكل خاطئ تماماً بالنسبة للجنود والمارينز الموصوفون بهذه الدراسة تحديداً:

- زادت "الزيادة" من تكرار عمليات إنتشار الجنود؛ فهي تتطلب منهم أن يخدموا 15 شهراً، كما أنها خفضت الفترة، التي يتوقعها الجنود أن يقوا فيها في الوطن مع عائلاتهم لتجديد نشاطهم وعافيتهم، الى 12 شهراً.
- الأمر الأهم، لكل من الجنود والمارينز، هو أن الزيادة تفاقم من تعرضهم المطول للقتال. فالسؤال ليس فقط عن تكثيف العمليات أكثر؛ جانب أساسي للزيادة هو موضوعة الجنود والمارينز خارج معسكرات وحاميات القاعدة الى مواقع متقدمة، في وسط البلدات والمدن، في مناطق الجوار المدنية.

إذ يطلب من الجنود والمارينز الإختلاط، على أساس 24 ساعة يومياً، بين الناس المدنيين أنفسهم الذين نعلم الآن أنهم كانوا في النهاية يتلقون سوء المعاملة من الجنود والمارينز الذين كانوا مضغوطين سابقاً بسبب سوء إدارتنا لكيفية إنتشارهم.

وعلى خطة الزيادة أن تأخذ تلك العوامل بالإعتبار وبأن عزل جنودنا والمارينز عن المدنيين العراقي يجعل هذه العوامل أسوأ، وبذلك يتزايد الإنعزال المرجح عن أولئك المدنيين، ومن ثم نقول للجنود والمارينز أن يعيشوا بين أولئك المدنيين 24 ساعة يومياً وحميتهم. إنها وصفة لكارثة: ضغط أكبر، سوء معاملة أكثر، عزلة أكبر، تعاطف ودعم أكبر للعدو، قتال أكثر، ضغط أكبر، وهكذا يستمر الوضع الى ما لانهاية. لقد قال لنا بترايوس أنه كان يكتب مذكرة لجنوده وللمارينز التابعين له حاثاً إياهم على التفاعل مع المدنيين العراقيين بأسلوب إيجابي، لكنه لا يقوم بتعديل كيفية نشر جنودنا ومتى وأين، سواء داخل العراق أو إليه أو منه. وعن طريق جعل ظروفهم أسوأ، فإن بترايوس يقول الآن لجنودنا- بطريقة مهينة- بأن "يستوعبوا الوضع".

إن الماريتر والجيش هم في وضع مستحيل بالكامل: فقيادتهم تخلق الظروف التي تتسبب بانعزالهم عن السكان المدنيين العراقيين، ومن ثم تجبرهم على العيش بين نفس هؤلاء الناس المنعزلين. إن المنطق المريض لهذه الحرب - بدءاً من الأسباب التي لا يقبلها أحد الآن - لا يزال يدهشنا. فمن المستحيل بالنسبة لجنودنا والماريتر أن يصمدوا من دون كلفة عظيمة تقع عليهم أو على المدنيين المحيطين بهم، أو بالتأكيد على كليهما. ولأنهم فشلوا بتخفيف ظروف الضغوط التي يزرح تحتها الجنود، بل أنهم فاقموها، فإن عدداً من الشخصيات السياسية في البنتاغون والكونغرس سوف يعلنون أنفسهم، بالتأكيد، مصدومين ورافضين بسبب النتائج التي لا يمكن تجنبها. أما الخطوة التالية، فهي العقاب الحتمي للخائنين، ولكن فقط العقاب للأفراد الذين سيفضلون تحديدهم من التسلسل الهرمي للمناصب التي هي أدنى من تلك التي لهم. فقيادة هذه الحرب ستختال في مشيتها مشيرة بأصبع اللوم على شخص آخر عندما يصبح الفشل الذي لا مهرب منه أمر جلياً وواضحاً.



Research Services Group
ResearchServices.Group@gmail.com